

مدة خلافته رضي الله تعالى عنه :

بويح رضي الله تعالى عنه إثر موت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة بيعة خاصة ، وأعلن ببيعته حين أعلن بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما عام تسعة وعشرين وخمسمائة ⁽¹⁾ ؛ وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر غير ستة أيام .

* * *

عمره رضي الله تعالى عنه :

قبل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون سنة ⁽¹⁾ وقت وفاته ومدفنه رضي الله تعالى عنه :

توفي قبل الفجر يوم الثلاثاء ⁽²⁾ الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ، ⁽³⁾ ونقل رضي الله تعالى عنه إلى تينملل - شرفها الله تعالى - يوم الجمعة غرة شعبان المكرم عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ،

* * *

(1) نقل ابن أبي زرع الرأين وأسند الأول إلى ابن الخشاب ، والثاني إلى ابن صاحب الصلاة (الروض ص 202) ، وأما عبد الواحد المراكشي فقال إن عبد المؤمن ولد سنة 265 (المعجب ص 197) ، وقال ابن خلكان إنه ولد سنة 500 وقيل إنها كانت سنة 490 (الوفيات 239/3) ، أما ابن عذارى فإنه نقل عن أبي زكريا يحيى بن وسنار (في الأصل : بن سنان) أن عمره كان ثلاثا وستين سنة ، وقيل : أربعاً وسبعين (البيان المغرب - الطبعة الثانية - ص 55) .

(2) في الأصل : الثلاثة .

(3) يتفق كل المترجمين لعبد المؤمن على أنه توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558 ، غير أنهم يختلفون في تحديد اليوم ، أما البيهقي فإنه يتفق مع ابن القطان في أن ذلك كان في يوم الثلاثاء الثامن من هذا الشهر (أخبار المهدي ص 83) ، وكذلك ابن أبي زرع في أحد قوليه (الروض ص 202) والسلوي (الاستقصا 139) ، ولو أن هذين المؤرخين يجعلان الثامن من جمادى الآخرة موافقا ليوم جمعة لا الثلاثاء ، وأما ابن عذارى فإنه يحدد وفاة عبد المؤمن بليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة (البيان المغرب ص 55) ، ويوافق ابن أبي زرع في قول آخر له على العاشر من هذا الشهر إلا أنه يجعله يوم الثلاثاء (202) أما عبد الواحد المراكشي فإنه يتفرد بإيراد تاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور (المعجب ص 306) ، وأقوال المؤرخين المشاركة مضطربة فابن خلكان والنويري يجعلان ذلك في العاشر الأخير أو الآخر (كذا) من ذلك الشهر (الوفيات 239/3 ؛ ونهاية الأرب ص 214) ؛ ويحدده ابن الأثير بالعشرين من جمادى الآخرة (الكامل 81/9) . وقد رجح أويشي في بحثه لهذا التاريخ ما استقر عليه ابن القطان والبيهقي أي الثامن من جمادى الآخرة الموافق ليوم الثلاثاء 14 مايو سنة 1163 م . (انظر تاريخ الدولة الموحدية 209/1) .

(1) هكذا ذكر ابن القطان ، وأكد ذلك أيضا ابن عذارى في البيان المغرب (312/1) ، ويقول أويشي إن ابن الأثير يتفق معهما أيضا على هذا التاريخ ولو أننا لم نجد في « الكامل » نصا صريحا على ذلك ، أما البيهقي فإنه يجعل البيعة العامة لعبد المؤمن في سنة 527 (أخبار المهدي ص 133) وكذلك ابن صاحب الصلاة (فيما ينقل عنه ابن أبي زرع في الروض ص 184) وابن خلدون والسلوي اللذان يذكران أن أصحاب ابن تومرت المقرين إليه كنتموا وفاته ثلاث سنوات مما يفهم منه أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت في سنة 527 (انظر العبر 229/6 والاستقصا 100/2) ؛ غير أن ابن أبي زرع والسلوي يعودان فيجعلان البيعة في يوم الجمعة 20 من ربيع الأول سنة 526 أي بعد وفاة المهدي بستين على الرغم مما أشرنا إليه من نقلهما عن ابن صاحب الصلاة كون هذه البيعة في سنة 527 (الروض ص 186) ، وقد ذكر أويشي أن هذا التاريخ الأخير خاطيء إذ أن يوم 20 ربيع الأول المذكور لم يكن يوم جمعة وإنما يوم الأربعاء ، فضلا عن أن ابن أبي زرع كثير الغلط غير جدير بالثقة في كل ما يقول ؛ ويرى أويشي أخيرا أن ما ورد هنا إنما هو على الأرجح تحريف من ناسخ المخطوط لسهولة الخلط بين رقمي « السبعة » و « التسعة » ، على أننا نستبعد هذا الرأي ، إذ أننا سنرى ابن القطان في أخبار سنة 529 يعود إلى تأكيد ما ذكره هنا من أن الإعلان ببيعة عبد المؤمن تم في هذه السنة (انظر مناقشة أويشي للآراء المختلفة حول هذه الناحية في « تاريخ الدولة الموحدية » ص 109) .

[65 ب] « أولاده الكرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين : (1)

فمنهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو يعقوب رضى الله تعالى عنه ، وشقيقه السيد الأسنى أبو حفص [عمر] ، (2) والسادات المكرمون أبو عبد الله ، (3) وأبو محمد عبد الله صاحب بجاية ، (4) وأبو سعيد عثمان ، (5)

(1) عن أبناء عبد المؤمن واختلاف المؤرخين حول عددهم وأسمائهم انظر الحلل المشوية (ص 142) ، وابن أبي زرع (الروض ص 202 - 203) ، وعبد الواحد (المعجب ص 266) ، والزرکشي : تاريخ الدولتين ص 9 ، وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة 222 - 223 ؛ وابن عذارى (البيان ص 56) . وانظر كذلك الملحق الثاني من الملاحق التي ذيل بها أويني كتابه (613/2 - 624) .

(2) في الأصل بياض بقدر كلمة ، وقد أضفناها اعتماداً على مختلف المراجع الموحدية ، وأبو حفص عمر هذا هو شقيق يوسف بن عبد المؤمن كما ذكر المؤلف ، وأمهما هي بنت أبي عمران موسى بن سليمان التليمللي الكفيف أحد أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 116 ؛ وروض القرطاس 205 ؛ والمعجب ص 308) ؛ وقد تولى أبو حفص الحجابة لأخيه يوسف كما قاد له الجيوش وتوفي سنة 575 (انظر أويني : تاريخ 613/2 - 614) .

(3) هو محمد أكبر أبناء عبد المؤمن وولي عهده له في حياته ، وقد تولى الخلافة بعد موت أبيه خمسة وأربعين يوماً . ثم خلع عن العرش وبويع بعده أبو يعقوب يوسف أخوه (انظر في هذه الأحداث : أويني : تاريخ 219/1 - 223) .

(4) ولأه أبوه عبد المؤمن على بجاية سنة 551 في جملة من ولأه من أبنائه على البلاد ، ولم تكن سنة تجاوز حينئذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، فلما بويع أخوه يوسف بن عبد المؤمن رفض الاعتراف بخلافته ، واشترك في العصيان مع أخيه أبي سعيد عثمان عامل غرناطة ، ولكنه لم يلبث أن أعطى عهده بالطاعة بعد أن رأى أخاه المذكور يعلن الولاء ويكف عن الثورة ، فقبل منه أبو يعقوب ، وتوجه عبد الله إلى مراکش ليبيع أخاه ، ولكنه مات في الطريق مسموماً (انظر أويني : 620/2 - 621) .

(5) أضاف ابن أبي زرع إلى اسمه « صاحب غرناطة » (203) بينا ذكر قبل ذلك أن أباه ولأه سبعة وعطمة (197) ، وقد ولي الجهتين بالفعل في سنة 549 في حياة أبيه مضافاً إليها مالقة والجزيرة الخضراء (السابق ص 116 والمعجب ص 293) ، وقد أشرنا إلى رفضه الاعتراف بخلافته أخيه يوسف ثم إفائه بالطاعة سنة 560 ، وقد كان له نشاط عسكري كبير في الأندلس ، وكانت وفاته في سنة 571 (انظر أويني 618/2 - 619) .

وأبو علي الحسن ، (1) وشقيقهما أبو الربيع سليمان ، (2) وأبو زكريا يحيى ، (3) وأبو ابراهيم اسماعيل ، (4) وأبو إسحاق ابراهيم ، (5) وأبو يوسف يعقوب ، (6)

(1) ولي عمل سبعة لأخيه يوسف ، وفي سنة 564 عاد إلى مراکش ، ثم ولي في سنة 567 قيادة جيش عمارة في غزوة وبدة بالأندلس ، وفي سنة 570 ولي عمل إشبيلية واشترك بعد ذلك في سنة 572 مع أخيه أبي الحسن علي في مهاجمة طليبة ، وتوفي سنة 574 وهو عامل على إشبيلية (نفس المرجع 620/2) .

(2) عين عاملاً على تادلا في حياة أبيه عبد المؤمن ، وفي سنة 580 توجه إلى مراکش لمبايعة ابن أخيه يعقوب المنصور ثم اشترك في قتال بني غانية ببجاية فلحقته به الهرجة ولجأ إلى تلمسان ، ثم عاد بعد ذلك إلى عمل تادلا حيث حاول الثورة على يعقوب المنصور ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر ، ثم قتل في الرباط سنة 584 (نفس المرجع 622/2) .

(3) عين عاملاً على بجاية سنة 561 خلفاً لأخيه عبد الله المذكور قبل ذلك ، وظل في هذا المنصب حتى سنة 565 حين توجه قائداً على عرب إفريقية إلى الأندلس مع أخيه أمير المؤمنين يوسف ، واشترك بعد ذلك في حملة وبدة قائداً لأهل كومية ، وكانت وفاته سنة 571 وهو مرافق لأخيه يوسف عند عودته إلى مراکش (نفس المرجع 620/2) .

(4) أمه بنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة ، ولي عمل إشبيلية سنة 561 خلفاً للحافظ أبي عبد الله ابن إسماعيل إبيحج ، وفي سنة 563 تولى إرسال بيعة أهل إشبيلية إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف ، وفي السنة التالية تلقى طاعة ابن هاشك للخليفة الموحيدي ، ثم رافقه إلى غزوة وبدة قائداً على عسكري جفيسة ، وفي سنة 568 توجه هو والشيخ أبو حفص عمر إبنتي إلى قتال القومس النصراني المعروف باسم « البيوح El Giboso » (الأحدث) فقتلاه وهزما عسكريه . ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد (نفس المرجع 620/2) .

(5) ولي قرطبة لأخيه أمير المؤمنين يوسف سنة 563 ، وفي سنة 564 استدعى إلى مراکش ، وفي سنة 567 كان على رأس قبيلة جدموية في حملة وبدة ، ثم ولي عمل إشبيلية في سنة 576 ، وقام في سنة 578 باستعادة مدينة شنتفيلة من أيدي النصارى وعزل بعد ذلك عن عمل إشبيلية ، وفي سنة 580 اشترك في حملة شنتري ، ويبدو أنه صرح بالسخط على ابن أخيه يعقوب المنصور حينما بويع له بالخلافة في نفس هذه السنة مما أدى إلى نفيه إلى تلمسان . وقد قتل في سنة 583 فتل به أهل تلمسان على ما يبدو (نفس المرجع 621/2 - 622) .

(6) لا يعرف من أخباره إلا أنه كان عاملاً على مرسية سنة 579 ، وأن أخاه يوسف امتنع عن لقائه حينما ذهب لزيارته في مراکش (نفس المرجع 623/2) .

وأبو الحسن علي ، ⁽¹⁾ وأبو زيد عبد الرحمن ، ⁽²⁾ وأبو سليمان داود ، ⁽³⁾ وأبو موسى عيسى ، ⁽⁴⁾ وأبو العباس أحمد ، ⁽⁵⁾ رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

بناته رضي الله تعالى عنه وعنهن :

الحرتان المكرمتان صفية وعائشة ⁽⁶⁾ .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

السيد الأعلى أبو حفص ⁽⁷⁾ ابنه ⁽⁸⁾ رضي الله تعالى عنهما ، وأبو جعفر

أحمد بن عطية ، ⁽¹⁾ وأبو محمد عطية ، ⁽²⁾ ، وأبو محمد عبد السلام بن محمد ، ⁽³⁾ وأبو العلاء * إدريس بن [جامع ، وكان يقعد بين يدي] ⁽⁴⁾ السيد أبي حفص . [66 أ

(1) في الأصل : وأبو جعفر وأحمد بن عطية ، وقد سبق أن عرفنا بالوزير ابن عطية ومظان ترجمته (انظر ص 178 حاشية رقم 1) .

(2) أبو محمد أو أبو عقيل عطية بن عطية أخو أبي جعفر المذكور قبيله ، وكان مثله كاتباً ووزيراً لعبد المؤمن حتى نكحها وقتلها في أواخر سنة 553 (انظر المقرئ : نفح الطيب 183/5 - 186 ؛ السلاوي : الاستقصا 129/2) وقد نشر ليفي برونفسال عدة رسائل من إنشائه في مجموع الرسائل الموحدية (ص 22 - 26 وص 71 - 93) . وانظر كذلك بحث الأستاذ محمد المتوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 166 .

(3) عبد السلام بن محمد الكومي نسبة إلى كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي ، استوزره عبد المؤمن بعد إيقاعه بأبي جعفر ابن عطية ، وذلك في شوال سنة 553 عند خروج عبد المؤمن إلى غزوة المهديّة ، ويقول ابن أبي زرع إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج أم عبد السلام هذا ثم طلقها . هذا ولم يستمر عبد السلام الكومي طويلاً في منصبه إذ أخذ عليه الاستبداد بعمله والاستئثار بالسلطة فضلاً عما اتهم به من الغلول في غنائم قابس وشكايات أهل الأندلس من العمال الذين وجههم إليهم ثم لما نسبته إلى أبناء عبد المؤمن من شرب الخمر وغير ذلك من القبايح كذباً وبهتاناً ، وأخيراً قبض عليه عبد المؤمن في أثناء حملته التي دخل فيها تلمسان سنة 555 واحتال في قتله بأن سمّه في قدرة لبن (انظر المقرئ : نفح الطيب 183/5 ؛ ابن أبي زرع ص 196 ، 200 ؛ ابن عذارى ؛ البيان ص 57 ، 61 ، 66 ، 68 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص 136 ، 173 - 181 ؛ ابن الأبار : الحلة السيرة 237/2 - 239 ؛ وأويشي : تاريخ 192 - 193) .

(4) أضفنا هذه الزيادة نقلاً عن ابن عذارى (البيان ص 80) وابن أبي زرع (الروض 205 - 206) ، وأبو العلاء إدريس بن ابراهيم بن جامع كان من كبار رجال الدولة الموحدية ، وأبوه ابراهيم بن جامع كان أصله من طليطلة بالأندلس ونشأ بساحل شريش ثم انتقل إلى العُدوة واتصل بابن تومرت وأصبح من جملة أصحابه (أهل الدار) ، وكان من أبنائه إدريس المذكور الذي ظل وزيراً لعبد المؤمن حتى وفاته ثم لابنه يوسف من بعده حتى سخط عليه هذا وقبض عليه واستصفى أمواله في سنة 577 (انظر ابن عذارى : البيان ص 114 ، 118 ، 132 ، 139 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 316 ، 390 ؛ السلاوي : الاستقصا 105/2) .

(1) في سنة 551 ولاء أبوه عبد المؤمن على فاس ، ثم استخلفه على مراكش عندما قام بغزوته إلى إفريقية ، وفي سنة 558 قام بحمل رفات والده إلى تينملل لدفنها هناك ، وفي سنة 571 تولى عمل قرطبة ثم اشترك في حملة وبذة ومهاجمة طليطلة بالأندلس ، وعاد بعد ذلك في سنة 576 إلى المغرب ، فولاه أخوه يوسف على إفريقية ، ولكنه وقع أسيراً في أيدي العرب ، وفي سنة 580 وكل إليه عمل تلمسان (نفس المرجع 619/2 - 620) .

(2) عين عاملاً على السوس موطن أمه - بصفة رمزية على ما يظهر لصغر سنه عندئذ (أخبار المهدي ص 116 - 117) ، وفي سنة 594 تولى عمل إشبيلية إلى أن عزله عنها محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند توليه الخلافة سنة 595 ، ووجه به الخليفة بعد ذلك إلى سجلماسة حتى سنة 607 حينما أعاده إلى الأندلس عاملاً على جيان (نفس المرجع 623/2) .

(3) ذكره كذلك ابن أبي زرع في الروض (203) وابن عذارى في البيان (ص 56) ، ولكننا لم نعار على شيء من أخباره .

(4) ولى لأخيه أمير المؤمنين يوسف القيروان سنة 576 بعد فتح قفصة ، وفي سنة 581 وقع في بجاية أسيراً في يد ابن غانية ، بينما كان يزعم الرحلة إلى مراكش لتنهتة ابن أخيه يعقوب بالخلافة ، ثم أطلق سراحه في السنة التالية حينما استرد الموحدون المدينة ، ثم عين بعد ذلك عاملاً على إشبيلية في سنة 601 . وقد كان حياً في سنة 621 (نفس المرجع 622/2) .

(5) لا نعرف من أخباره إلا أنه كان عاملاً على سجلماسة حتى وفاته سنة 574 (نفس المرجع 623/2) .

(6) ذكرها أيضاً ابن أبي زرع (الروض 203) وابن عذارى (البيان ص 56) .

(7) هو أخوه عمر المذكور قبل ذلك .

(8) في الأصل : ... وابنه : وهو تحريف من الناسخ يوقع في الخطأ إذ يوهم أن ابناً لأبي حفص عمر بن عبد المؤمن قد ولى الوزارة لجده ، وهو أمر ليس هناك ما يؤكد .

قضاته رضي الله تعالى عنه :

أبو عمران موسى صهره ⁽¹⁾ من تينمل ، ⁽²⁾ وحجاج بن يوسف . ⁽³⁾

كتابه رضي الله تعالى عنه :

أبو جعفر ابن عطية ، أو محمد عبد الله بن جبل ⁽⁴⁾ عطية بن عطية ⁽⁵⁾ ،
ميمون الهواري ⁽⁶⁾ ، أبو الحسن ابن عياش ⁽⁷⁾ ، أبو علي الأشيري ⁽⁸⁾ ، أبو القاسم

(1) في الأصل : صهره .

(2) هو أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف ، وقد مر ذكره في نظم الجمان عند إيراد أسماء أهل
حسين من أصحاب ابن تومرت ، كما أشار إليه أيضا صاحب كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 34) ،
وكان موسى من شيوخ أهل تينمل وأعيانهم من ضيعة أنسا ، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا
خرج منها ، وتزوج من ابنته زينب ، وهي أم ولديه يوسف خليفته على الملك وأبى حفص عمر ، وكانت
مصاهرة عبد المؤمن إياه أيام كان بتينمل برأى ابن تومرت (المعجب ص 308 ، 421) ويسميه ابن أبي
زرع « موسى بن سهل » (الروض 205) .

(3) هو أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وكان من ناحية
بجاية ، وهو من أهل العلم والأدب ، نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة . وتوفي مكفوف البصر في
الطاعون الذي أصاب المغرب سنة 572 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 93) .

(4) ذكره ابن صاحب الصلاة (المن بالإمامة ص 150 ، 223 ، 231) وابن عذارى (البيان ص 80)
وابن أبي زرع (الروض 205) في الكلام عن كتاب عبد المؤمن ، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه اعتبره
من قضاته ، وقال إنه كان من أهل مدينه وهران من أعمال تلمسان (المعجب ص 269) ، وذكر ابن
صاحب الصلاة أنه كان صاحب أبي الحسن بن الإشبيلي عند الخليفة يخطب بعده إذا خطب . وترجم له
ابن الأبار ، فقال إن أصله من الأندلس وإنه كان فقيها وخطيب مفوها وتوفي بمراكش مستهل ربيع الآخر
سنة 557 ، ودفن بروضة الشيوخ . (التكملة ، الترجمة 1484 ص 527) .

(5) هو أبو عقيل أو أبو محمد ، أخو أبي جعفر ابن عطية الذي سبقت الإشارة إليه من قبل .

(6) أشار إليه ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وابن أبي زرع (في المواضع المشار إليها قبل ذلك) ،
ولعله هو الذي ترجم له ابن الأبار في التكملة (رقم 1136) وقال عنه إنه كان من سكان قرطبة وكان
أديبا فقيها ، وإن له شعرا فيما جرى بين ابن رشد وأبي محمد بن أبي جعفر في التفضيل بين الهائلة والحمدلة .

(7) هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك الأردني البكري ، سكن أبوه قرطبة
ونشأ هو بها ، واشتهر أولا بالزهد والورع حتى كان يسمى « الزاهد » ثم صاحب بني حمدين الثائرين =

أخيل بن إدريس الرندي ⁽¹⁾ .

« على المرابطين في قرطبة ، وفر منها في الفتنة وانتقل إلى إشبيلية ثم انتقل إلى كتابة السيد أبي حفص وسار
معه إلى النصارى ولم يزل في صحبته وكتابه حتى استدعاه عبد المؤمن لكتابه ونال دنيا عريضة وعدل عن
طريقه الأولى في الزهد ، وتوفي سنة 568 متوليا الكتابة ليوسف بن عبد المؤمن (ابن الأبار : التكملة ،
ترجمه 1721 ، ابن عذارى : البيان ص 166 - 167 ، ابن أبي زرع : الروض 194 ، 205 - 206) ، وكان له ابن
يُدعى أبا محمد عياش بن عبد الملك ولي الكتابة أيضا ليوسف بن عبد المؤمن (المعجب ص 269 ، 316) .

(1) هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الأشيري من أهل تلمسان ، نشأ بها ودرس بالمغرب
والأندلس ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والنسب والغريب مجيدا للنظم والنثر ، وله مجموع في
غريب الموطأ وكتاب في التاريخ سماه « نظم الآلي » في فتوح الأمر العالي « كان من بين الأصول التي اعتمد
عليها صاحب الحلال الموشية كما نقل عنه صاحب نظم الجمان نفسه ، وكانت وفاته سنة 569 (ابن الأبار :
التكملة ، ترجمة رقم 66) ، وقد روى له البيهقي (أخبار المهدي ص 97) وابن أبي زرع (الروض
188 - 186) وصاحب الحلال الموشية (ص 130 ، 149) أبياتا يمدح بها عبد المؤمن ويذكر قصة الأسد
الذي ملئ بين يديه ، وأشار إليه ابن الأبار كذلك في الحلة السيرة 92/2 ، 192 - 196) وقد اعتمد
صاحب الحلال الموشية على كتاب أبي علي الأشيري فيما كتبه عن نهاية الدولة المرابطية والمواقع الدائرة بين
الموحدين وتاشفين بن علي (انظر ص 130) ، كما نشر الأستاذ ليفي بروفنسال قطعة فيها نقول عن تاريخه
مع دراسة وترجمة فرنسية تحت عنوان (Notes D'histoire almohade » ، Hesperis ، 1930) (وقد تبين
بعد ذلك أن هذه القطعة إنما هي بضعة أوراق من كتاب البيان المغرب لابن عذارى (انظر طبعة أويشي
الطانية ص 18 ، 23) .

(1) اشتغل أولا بالكتابة لبعض أمراء المرابطين ثم استكتبه أبو جعفر ابن حمدين ، فلما دخل ابن
غانية قرطبة ذهب إلى بلده رنادة واستبد بضبطها زمنا ثم أخرجه منها أبو الغمر ابن السائب ، وتوجه أخيل
ابن إدريس إلى مالقة وجاز منها إلى مراكش فاتصل بأبي جعفر ابن عطية الوزير وما زال حتى ولي قضاء
قرطبة ثم قضاء إشبيلية ، وكان من بين من استقبلوا عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح عند جواره إلى الأندلس
ومدحه ، ونفاه عبد المؤمن مدة إلى مكناسة ثم عفا عنه ، وقال المقرئ إن سبب ذلك هو قوله إن الخلافة
لا ينبغي أن يتولاها إلا قرشي ، وتوفي بإشبيلية سنة 560 أو 561 (انظر في ترجمته الحلة السيرة لابن الأبار
المجلد الثاني 241 - 244 ، والتكملة لابن الأبار - ط . بن أبي شنب - ص 252 والمقتضب من ثقافة القادم
ص 61 ، وابن سعيد : المغرب 230/1 - 336 ، والمقرئ : نفح الطيب 469/3 ، 202/4 ، ابن صاحب
الصلاة : المن بالإمامة ، 32 ، 224 - 226) .

الطلبية في حضرته السنية رضي الله تعالى عنه :

الخطيب أبو الحسن بن الإشبيلي⁽¹⁾ ، الخطيب أبو محمد ابن جبل⁽²⁾ ،
أبو بكر ابن ميمون القرطبي⁽³⁾ .

* * *

فهذه المقدمة لدولته السعيدة ، وخلافته الحميدة ، التي شرق ضياؤها
وسطع ، وعلا سناؤها وارتفع ، وأقرت عين الدين ، وقهرت كل الملحددين ؛ وقرب

(1) تحدث عنه ابن صاحب الصلاة طويلا في كتاب المن بالإمامة (ص 150 ، 228 ، 231 ، 285)
فقال إنه « الفقيه الخطيب شيخ طلبة الحضرة ، هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة (يوسف بن
عبد المؤمن) عند حضور الوفود الناطق بالفصاحة والبلاغة المنظومة نظم العقود .. الخ » ، ويقول ابن
صاحب الصلاة إنه كان عالي المكانة لدى يوسف بن عبد المؤمن ثم لدى ابنه الخليفة يعقوب المنصور وإنه
تزوج من ابنة القاضي ابن الملقوم مما رفع من مرتبته ، والتقى به ابن صاحب الصلاة نفسه بحضرة مراكش
سنة 560 فسمع عليه قراءة عقيدة التوحيد والعقيدة المسماة بالطهارة وكتاب أعز ما يطلب بقراءة الكاتب
أبي عبد الله بن عميرة ، وكان إذا قرأ القارئ المذكور فضلا من تلك الكتب تولى شرح غامضها وتقريب
معانيها على الطلبة ، وتوفي بحضرة مراكش دون أن يحدد ابن صاحب الصلاة تاريخ وفاته على أن ابن الأبار
يزيدنا تعريفاً به فيقول إنه على بن محمد بن خليل ، سكن المرية وأخذ عن أبي القاسم ابن ورد ولازمه
وأثقت علم الأصول وبرع فيها وكان خطيباً مفوهاً ، وأخذ عنه أبو القاسم بن الملقوم وابن صاحب
الصلاة ، وكانت وفاته سنة 567 (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 1862) .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن جبل الذي سبق أن أشار ابن القطان إليه من بين كتاب عبد المؤمن .

(3) ذكره ابن أزي زرع إلا أنه قال إنه كان من بين قضاة عبد المؤمن ، وأورد بعض أخباره ابن
صاحب الصلاة وقال إنه كان من أساتيد مراكش وصل إلى الحضرة العلية واستوطنها حتى نسي قرطبة
وانثال إليه الطلبة من كل مكان وكان يتهاجي مع الشاعر اليكبي . (ابن أزي زرع : روض القرطاس 205 ؛
المن بالإمامة ص 226 - 228) وترجم له ابن الأبار فسماه محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس البندري
كان متقدما في علم اللسان متصرفا في سائر الفنون . خرج من بلده قرطبة أيام الفتنة فنزل مراكش وأقرأ
بها العربية والآداب وكان يحضر مجلس عبد المؤمن في جملة العلماء ولكن عبد المؤمن هجره ومنعه من
حضور مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه بعد أن سمع منه أبياتاً في الغزل فيها إساءة أدب . ومات
بمراكش في 567 عن عمر يناهز التسعين (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 751 ، وانظر كذلك بغية الوعاة
للسيوطي 147/1 ، 148) .

الله تعالى بها من نصر الدين ما بعد ، وجلا به عن أبصار المهتدين الرمد ، وشفى
العدل من الظلم بعد ما أشفى ، وأحيا به من مراسم الدين ما كان عفا ، فلاح
الدين سيفاً مصلناً⁽¹⁾ حده ، متوالياً جُدّه متعالياً جُدّه ، فشيّد من الشريعة مباني
عالية ، وأبدى بهيمته الرفيعة من المكرمات معاني سامية ، فلا ترى « إلا ظلال
عدل ، وانهمال فضل ، وتأنيل مجد ، وإقامة رسم للهداية وحد ، وتمسكا بكتاب
الله تعالى وسنة نبيه ، وهدي صحابته وهدي مهديه ، والدين تشرق بهجته ، وتونق
لمجته ، والحق يظهر سموه ، والعدل يُقهر عدوه ، والفضل يعلى مناره ، والبذل
توارد⁽²⁾ آثاره ، يدعو العفا لسان للإحسان فصيح ، ويسعهم ميدان للامتنان
فسيح ، يغص بهم الفضاء ويسعهم فناؤه ، ويقضي لهم بنيل الأماني بشره واعتناؤه⁽³⁾ ،
فوردون من كوثر كثرة الإحسان عذبا صافيا ، ويتفياون من اليمن والأمان ظلا⁽⁴⁾ ،
ضافيا ، فالوفود ترجى⁽⁵⁾ ركائبها ، وتثنى - لو سكتوا - حقائبها⁽⁶⁾ ، فلا قطعة
من الأرض إلا عمها ظل عدله ، ولا بقعة إلا وساح بأرجائها بحر فضله .

قرنت الدعة ببيعته والأمان ، وقرت عين الإسلام وطابت نفس الإيمان ،
وأصبح الحق عالي المعالم ، والدين لا يخشى ظلامه ظالم ، ممّا من الله تعالى على
عبيده وإحسانا ، وفضلا عمهم جماعات ووجدانا ، فلا لسان إلا بالحمد والشكر
ناطق ، ولا قلب عدو إلا طائش من المخافة خافق .

(1) في الأصل : مصلة .

(2) في الأصل : توارى ، ولعلها كما أثبتنا أي توارد ، وقد تكون أيضا « تواتر » .

(3) في الأصل : واعتناؤه .

(4) في الأصل : ضلا .

(5) في الأصل : ترجى .

(6) في الأصل : حقائبها ، وهو تحريف ، وإنما ضمن المؤلف هنا بيتا من شعر نصيب بن رباح في

مدح الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك :

فعاوجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أنت عليك الحقائق

(انظر الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني 130/1) .

[67 أ] فأعظم بها خلافة * مهدية ، وبشارة حقق الله [بها] ما في ⁽¹⁾ الوعد النبوي الصادق ، وقصم ⁽²⁾ كل باغ حاسد منافق ، وجعل كلمة الخلافة والإمامة ، والسعادة المستدامة ، باقية لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضى لأمره جل وعلا ، أمير المؤمنين أبي حفص ⁽³⁾ ابن سيدنا ومولانا الأمير الظاهر أبي إبراهيم بن سيدنا ومولانا الخليفين الإمامين أمير المؤمنين المنتخب من صفوة أنجاله ، السالك مسلكه القيم في كافة أحواله ، أسنى الخلائف قدرا ، وأسماهم ذكرا ، وأقسطهم حكما ، وأوسعهم علما ، ونظم في سمط ملكه كافة المشارق والمغرب ، وأبقاه للإيمان عضباً مرهف ⁽⁴⁾ الغرايين ماضي المضارب ، تركز ⁽⁵⁾ رايته المنصورة في أقصى البسيطة [وترفع] ، ⁽⁶⁾ ويزداد بها من ناوأ الحق ويدفع ، وهو سبحانه يديم اتصال هذه الكلمة له ولأعقابيه الكرام ، ويمدهم بالنصر العزيز والفتح المستدام بمنه .

* * *

(1) في الأصل : باقي .

(2) في الأصل : وقسم .

(3) هو الخليفة الموحد الثاني عشر أبو حفص عمر المرتضى بن أبي إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ولي الخلافة سنة 646 ، وتوفي قتيلا سنة 665 . انظر تقديم الكتاب .

(4) في الأصل : مرهب .

(5) في الأصل : تركن .

(6) إضافة يقتضيها ما يجري عليه المؤلف هنا من التزام الجمع .

أخبار الأندلس في هذه السنة :

فيها ولي الزراجنة تيكلمت ⁽¹⁾ قرطبة : وفيها قتل .

وفيها غزا الحشمي ينتان بن علي ⁽²⁾ القومس غشتون ⁽³⁾ زعيم النصارى فقتل الرعيم ، وحمل رأسه إلى مراکش فطيف به .

وغزا الحشمي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب غرناطة حصن

(1) لسنا نعرف عن أبي زيد تيكلمت هذا إلا ما أمدنا به ابن القطان ، وقد سبق أن ذكر في أحداث سنة 522 أن عامل المرابطين على إشبيلية أجداي قد استخلف تيكلمت على قرطبة ، ولهذا فإن من الغريب أن يقول هنا إنه ولي قرطبة في هذه السنة ، إلا إذا كان معنى قوله السابق أن استخلافه في سنة 522 لم يكن قد تم بصفة فعلية وإنما كان بصورة مؤقتة .

(2) في الأصل : ينتان بن علي ، والصواب ما ذكرنا ، وهو أبو يعقوب ينتان بن علي بن يوسف بن تاشفين ، أصغر أبناء علي بن يوسف على ما يذكر ، وابن عذارى (البيان - القسم الموحد ص 30) ، والأخبار التي نعرفها عنه قليلة ، ويرجع الفضل فيها إلى الجزء الخاص بالمرابطين من البيان المغرب (ص 81 ، 107) ، ومجمل ما فيه أن ينتان هذا ولي عمل بلنسية في سنة 524 (1130 م .) خلفا لمحمد بن يوسف المعروف باسم بدر الذي توفي في هذه السنة ، وفي سنة 527 (1133) نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وستة أشهر من شوال 527 حتى صفر 529 (من أغسطس 1133 حتى نوفمبر - ديسمبر 1134) ، واشترك أثناء حكمه لإشبيلية في الحملة التي قادها أخوه تاشفين إلى عقبة البقر ، وقد ذكر اسمه أيضا صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 72) في قائمة ولاية بلنسية في عهد المرابطين وقال إنه خلف عليها القائد بدر بن ورقاء ، إلا أن صاحب المفاخر سماه القائد ينتان بن علي . كذلك أشار ابن عذارى إلى تلك الغزوة التي وجهها ينتان إلى إسبانيا المسيحية (لعلها منطقة قطلونية) والتي هزم فيها القومس غشتون المذكور هنا ، وقد حدد تاريخ ذلك بجمادى الثانية سنة 524 (مايو - يونيو 1130) . انظر مقال أويشي : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 106 ، 109 ، 113 .

(3) في الأصل : غشتون ، والصواب ما ذكرنا وهو الذي تذكره المراجع المسيحية باسم الكونت Conde Gaston de Bearn وكان ينتان بن علي قد هزم الجيوش المسيحية التي كان يقودها هذا القومس وأسقف مدينة وشقة Huesca ، وهو غير غشتون الذي كان من أصحاب البربر وتاشفين بن علي أثناء قتالهما للموحدين بعد إيقاع عبد المؤمن بقبيلة جزولة (انظر عن غشتون هذا البيدق : أخبار المهدي ص 96) .

[67 ب] السكة ⁽¹⁾ ، فافتتحه « وقتل كل من فيه من النصراري وأسر ⁽²⁾ بعضهم .

أخبار الغرب وما والاها :

فيها ولي الزراجنة عمر بن علي بن يوسف فاس ⁽³⁾ ، فجار في ولايته فعزل ؛ وولي يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ⁽⁴⁾ ، ابن أخت علي بن يوسف وهو الوالي بتلمسان

(1) غزوة تاشفين لحسن السكة معروفة في المراجع التاريخية الإسلامية والمسيحية على السواء ، وقد فصل الحديث عنها ابن الخطيب في « الإحاطة » (ط . محب الدين الخطيب 282/1 وط . عنان 451/1 - 453) ، إذ قال إن تاشفين بن علي بن يوسف خرج في رمضان سنة 524 بجيش غرناطة ومطوعها - وكان عاملا على هذه المنطقة - واتصل به جيش قرطبة ، فتوجه إلى حصن السكة من أعمال طليطلة ، وكان قائده القومس فرند قد ألحق كثيرا من الأذى بالمسلمين ، فافتتح تاشفين الحصن عنوة وقتل من كان به وحمل قائده فرند وجملة من فرسانه أسرى معه إلى غرناطة . وتتفق المراجع المسيحية مع المصادر العربية في ذلك ، إذ ورد في « الحوليات الطليطلية Anales Toledanos » أن تاشفين هاجم هذا الحصن الذي كان النصراري يسمونه Ceca أو Azeca (حصن السكة) وأسر قائده المعروف باسم Tello Fernández (فرند المذكور في الإحاطة) وكان محاربا أصله من شلطانية Saldaña (في شمال إسبانيا) ؛ كذلك جاء في « حوليات ألفونسو السابع Cronica de Alfonso VII » أن تاشفين حطم هذا الحصن حتى سواه بالأرض وأن قتل النصراري في هذه الواقعة قد بلغ عددهم ثلاثمائة ، وأن تاشفين حمل فرند المذكور مع جماعة من أصحابه إلى قرطبة ، ثم أجازهم البحر إلى مراكش للخدمة في حاضرة المرابطين (انظر بحث الأستاذ فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في مجموعة « دراسات نقدية حول التاريخ الأندلسي » ، ط . مدريد 1917 ، المجلد التاسع ص 125 - 126) .

(2) في الأصل : وأسرى .

(3) سبق لابن القطان أن ذكر ولاية عمر بن علي بن يوسف على فاس في أخبار سنة 523 قائلا إنه خلف عليها أخاه تميم بن علي بن يوسف (انظر ص 155 ، حاشية رقم 2) ، ولا ندري إن كان عمر المذكور هنا هو نفسه المتقدم ذكره أو أنه أخ له كان سميا له ، إذ أننا نعلم مما نص عليه ابن عذارى في البيان (القسم الموحد ص 30) أن علي بن يوسف كان له ولدان يسميان عمر : أحدهما الكبير ، والآخر الصغير .

(4) هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن ابراهيم المسوفي ، وأبوه أبو بكر بن ابراهيم هو المعروف بابن تيفلويت ابن عم علي بن يوسف بن تاشفين وكان مسكنه الصحراء ثم وفد على علي بن يوسف فزوجه من أخته وولاه على مرسية ثم بلنسية خلفا لابن الحاج ثم على سرقسطة ، وهو مملوح ابن خفاجة ومخدوم الفيلسوف ابن باجة السرقسطي ، وكانت وفاته سنة 510 بسرقسطة ؛ أما ابنه أبو زكريا يحيى المذكور هنا =

وما وراءها من طاعة الملتزمين ، فاستتاب ⁽¹⁾ بفاس موسى بن أبي هارون .

وفي هذه السنة كان القحط والوباء بفاس .

أخبار إفريقية وما إليها :

صاحبها في هذه السنة حسن بن علي بن يحيى بن تميم على ما كان عليه ؛ وصاحب بجاية [يحيى] ⁽²⁾ بن العزيز بالله ووزيره ميمون بن حمدون ؛ وبالمهدية [الحسن بن علي] ⁽³⁾ .

أخبار مصر في هذه السنة :

كان بمصر في هذه السنة الأمر على ما تقدم ذكره ، وفي هذه السنة مات على قول ⁽⁴⁾ .

وصفة مقتله - وكان جبارا عنيدا - أنه لما استبد بالوزارة الغلام الذي اسمه

= فإنه هو الذي أطلق عليه أيضا اسم ابن فنو أو فانو كما سيأتي في نظم الجمان نفسه وذلك نسبة إلى أمه بنت يوسف بن تاشفين وأخت علي بن يوسف ، وولي يحيى بن فانو هذا عمل تلمسان كما ينص على ذلك المؤلف هنا ، وهو الذي كان عاملا على تلمسان حينما دخلها محمد بن تومرت المهدي ، فاجتمع به في خبر يقصه علينا البيهقي (أخبار المهدي ص 62) ، وكان ليحيى هذا أخ يدعى علي بن أبي بكر كان عاملا على غرناطة للملثمين في سنة 539 (انظر الحلة السيرة لابن الأبار 212/2 ، 215 ، وله ابن يدعى محمدا اشترك في الحروب الدائرة بين المرابطين والموحدين في المغرب على ما سيذكر ابن القطان (انظر الإحاطة - ط . عنان - 404 - 409 ؛ وبحث الأستاذ فرانسيسكو كوديرا عن بني تاشفين ص 114 - 116) .

(1) في الأصل : فاستتاب .

(2) الزيادة عن البيان المغرب 311/1 .

(3) زيادة يقتضيها السياق وتطابق التاريخ ، إذ أن الحسن بن علي ظل يحكم هذه المنطقة حتى سنة 543 .

(4) هذا القول هو الصحيح ، إذ أن الأمر قتل كما هو معروف في الثاني من ذي القعدة سنة 524 (انظر

المقريزي : اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيباني ، ط . القاهرة سنة

1967 - الملحق الخامس عن الخلفاء الفاطميين) ، وكان قد ولي الخلافة في الرابع عشر من صفر سنة 495 .

« حرز الملوك ⁽¹⁾ » قتل مولاه الأمر ، وقد كان الأمر ولي عهده أبا الميمون عبد المجيد المنتصر بالله تعالى ⁽²⁾ ، وكان صغير السن فجاء الناس يهنون حرز الملوك بإبقائه على الحجابة ، وقد كان أراد أن يستبد بالأمر ، إلا أن أبا العباس ⁽³⁾ ابن الأفضل أبى ذلك ، فأخرج حرز الملوك الدنانير ، وأعطى العسكرية ، وأشار عليه * أنه يمضى للموت ، فأراد الرجوع ، فقالت له طائفة من العسكر : إلى أين ترجع ؟ أنت حاجتنا ! فقال لهم : لا تفعلوا يا قوم ، ما عندي مال . قالوا له : ما نريد منك مالا ونادوا بأصحاب الأفضل ، فتكاثر الناس عليه ، وساروا به للقصر .

فلما رأى حرز الملوك ما فعل الناس أقفل باب القصر ، فأرادوا كسره وإحراقه ، فأخرج لهم عبد المجيد رأسه ، وقال لهم : يا قوم ، ما تريدون ؟ قالوا : رأس حرز الملوك ! فأمر بقطع رأسه ورمى به إليهم .

وقال عبد المجيد لأبي العباس ابن الأفضل : قدمتك للحجابة مكانه ⁽⁴⁾ فقال له : ما أريد تقديمك . الله قدمني والعسكرية ! أعطني عشرة تواييت مالا ، فأعطاه إياه ، فأعطى الفارس خمسين مثقالا ، والراجل ثلاثين : فلما تمت قال : زدني . فزاده عشرة أخرى ، ففرقها . وما زال يفرق عشرة في عشرة حتى كملت ثمانين تابوتا .

(1) سبق أن ذكر ابن القطان خبر هذا الغلام (انظر ص 145 وتعلقنا على النص في الحاشية رقم 4) ، وقد علقنا من قبل على اختلاف المؤرخين في اسمه إذ يكتبه المقرئ « هزار الملوك برغوار » وابن تغري بردي « هزير الملوك جوامرد » ، أما ابن عذارى فإنه اتبع ما أثبتته ابن القطان هنا (البيان المغرب 311/1) .

(2) لم يكن من صغر السن بحيث يتصور قاري النص ، فقد كانت سن عبد المجيد في ذلك الوقت ستا أو سبعا وعشرين سنة إذ أنه ولد في المحرم سنة 497 أو 498 (الخطط 172/2) .

(3) كلنا ، وكتبته لدى سائر المؤرخين المشاركة « أبو علي » واسمه أحمد ، وهذا وقد أشار المقرئ في إنجاز إلى الأحداث التي يتحدث عنها ابن القطان هنا (انظر الخطط 172/2) . وراجع كذلك ابن الأثير ، الكامل 332/8 ؛ وابن خلكان : وفيات الأعيان 451/2 ، 235/3 ، 237 .

(4) ذكر المقرئ في الخطط (172/2) أن ابن الأفضل استبد بالوزارة في 16 من ذي القعدة سنة 524 .

وقد كان الأمر ⁽¹⁾ يقول : أما أنا فمقتول . ويلي الأمر بعدي أبو العباس ابن الأفضل ، فإن تم له العام وهو في الأمر ففيه يبقى حتى يموت وإن مات قبل العام فهو الذي رأينا في كتابنا !

فمكث تسعة أشهر وأياما ، وقبض على عبد المجيد وثقفه ، وسأل : هل في القصر صبي من أبناء الأمر والمستعلي ؟ فقبل له : لا ، إلا امرأة حامل ، فجعل أبو العباس * يقول للناس : إن الإمام يولد الآن ! وقطع الخطبة والأمر عن عبد المجيد ، وجعل يدعو للأمير ⁽²⁾ المنتظر ، وادعى أنه وصله كتاب محمد بن الحنفية وأنه خرج ؛ وكان يقول : أنا النائب عنه ، وكان يخاطب لنفسه « النائب ⁽³⁾ عن الإمام ، أبو العباس أمير الجيوش سيف الإسلام » ، فبقى كذلك إلى أن تم له عام كامل ، فتحيل عبد المجيد ، وأغرى ⁽⁴⁾ العسكرية به فقتلوه ⁽⁵⁾ .

وظهر عبد المجيد ، وتلقب بالحافظ لدين الله ، وقدم للحجابة ⁽⁶⁾ شخصا نصرانيا يعرف بالأسقف ⁽⁷⁾ ، فجعل يعلن بالكفر في الأسواق ويدعو إلى عبادة عبد المجيد ، فوجهه للصعيد ، فأراد القيام عليه والانتصار بالحبيشة النصارى ،

(1) في الأصل : الأمير .

(2) في الأصل : للأمر .

(3) في الأصل : النائم .

(4) في الأصل : وأغوى .

(5) ذكر المقرئ أن مقتل « أبي علي » بن الأفضل كان في 16 من المحرم سنة 526 وأن الحافظ

أخرج يومئذ من معتقله ، فاتخذ هذا اليوم عيداً سماه « يوم النصر » ، وصار يعمل كل سنة .

(6) في الأصل : للمعجاة .

(7) ذكر المقرئ أن الحافظ قدم للوزارة بعد مقتل أبي علي ابن الأفضل يانس صاحب الباب ، فظل عليها حتى مات في ذي الحجة ، سنة 524 بعد تسعة أشهر ، فلم يستوزر أحدا ، وتولى الأمور بنفسه إلى سنة 528 ، فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير ، فتوفي بعد شهرين ، فجعل مكانه ابنه حيدر بما أدى إلى حسد ابنه الآخر حسن له وثورته على أبيه ، إلا أنه قتل بعد ذلك ، وولي حينئذ على الوزارة بهرام الأرمني النصارى في جمادى الآخرة سنة 529 ، وهو الذي يذكره ابن القطان هنا بالاسم « الأسقف » .

فاستعمل شمعاً عدتها اثنتا عشرة⁽¹⁾ شمعة ، في كل شمعة الف دينار ، فتمى الخبر إلى عبد المجيد ، فخرج إلى نزهة . ورجع في طريقه على الأسقف ، فوجده في كنيسة والشمع عنده ، فسأله عنها ، وذكر له أن بعض القبط يبعثها إلى الكنيسة العظمى ، فطلب منه بعضها ، فحملت بين يديه ، فأمر بكسرها ، فوجد فيها المال ، فاستقره ، فأقر⁽²⁾ وطلب منه العفو ، فلم يعفه ، وأمر بعذابه إلى أن مات . وخرج عبد المجيد لرؤية الخليج ، فأمر به « فصير على لوح ، وأرسل في التيار⁽³⁾ فحمله⁽⁴⁾ .

وكان لعبد المجيد ولد ، وقيل ابن عم ، اسمه حسن⁽⁵⁾ ، فجعل يستميل العسكرية ويعطيهم الأموال ، ويقول لهم : إن عبد المجيد لا يصلح للأمر . وأنا أفعل معكم وأصنع ، ويعدهم ويمنيهم ، فقاموا على عبد المجيد حاملين⁽⁶⁾ ، فلما استوسق الأمر لحسن أخذ في قتل رؤساء الأجناد ، فقاموا عليه في شهر رجب من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وزحفوا إليه بالسلاح ، فهرب من داره ، ودخل في دار عبد المجيد ، فصاحوا : أخرجنا ناراً ! وجاءوا بالخطب والنار ، فقال عبد المجيد لحسن : أخرج رأسك ، وانظر إلى ما أحدثت . فأخرج

(1) في الأصل : اثنا عشر .

(2) في الأصل : فأمر .

(3) في الأصل : التيار .

(4) ما ذكر هنا عن مقتل « الأسقف النصراني » بهرام الأرمني يختلف عما أورده المقرئزي ، إذ أنه يذكر أن الذي قام بالإيقاع به إنما هو رضوان بن ولخي الذي كان متولي الغريبة ، فقد جمع الناس لحرب بهرام وسار إلى القاهرة ، فدخلها وقتل بهرام واضطلع بالوزارة سنة 531 (الخطط 172/2 - 173) .

(5) هو ولده كما ذكر المقرئزي ، وهو الذي ثار على أبيه الحافظ ، وقد فصل المقرئزي خبر ثورته في الخطط (27/3 - 29) ، وفيه يذكر أن حسناً شق عليه تولى أخيه حيدرة لعهد أبيه الحافظ واضطلاعه بوزارته ، فسعى في نقض ذلك بالإيقاع بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ، فحاول أبوه الحافظ مداراته وتدارك أمره وكتب له بولاية العهد ، فلم يزد ذلك إلا جرأة على أبيه ، وحينئذ بعث الحافظ إلى بلاد الصعيد يستنجد بعساكر الريحانية ، وأفسد حسن أمره في هذه الأثناء بالإساءة إلى أعيان الأمراء والأجناد ، فأجمعوا على قتله وشدوا الحصار عليه ، فلجأ إلى قصر أبيه ، وقبده هذا ، ثم أرغمه الجند على أن يقتله ، فتولى ذلك له الطبيب ابن قرقة النصراني أعد له سقية قاتلة .

(6) في الأصل : حاملاً .

رأسه فرأى أمة لا تحصى ، فلما أيقن⁽¹⁾ بالهلاك قال له عبد المجيد : إن قبضوا عليك عذبوا فيك وعذبوك ، وتكون وصمة عظيمة بهذه البيعة التي نحن منها ، ولكن اشرب السم تسترح وتسترخ منك ! وأعطاه سما ، فشربه فمات من حينه ، فغسله وكفنه ، فأخرجه لهم ، فحملوه وصلوا عليه ودفنوه ؛ وبقي عبد المجيد إلى أن تولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والأمور الفظيعة : (2) قتل الأمر حرز الملوك ، وقتله ، واستيلاء ابن الأفضل وقتله ، وظهور عبد المجيد ، « وما كان من الأسقف من الكفر والأمر بعبادة عبد المجيد ثم قتله ، ثم استيلاء حسن بن عبد المجيد - أو ابن عمه - والقيام عليه إلى أن قتل نفسه بسم ، ورجوع عبد المجيد إلى الولاية ؛ كل تلك الأمور على نسقها إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بين لك من ذلك ما كان في الأرض من ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى ، واتساق كلمة الأمر المطاع العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالى ؛ فتحقق بذلك⁽³⁾ صدق البشارة النبوية الكريمة بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته ، وإعلاء الحق وهداية أمته ، وكتم برهان قاطع ، ودليل ساطع ، أبرزه الوجود ، فتحصل منه العلم اليقين المقصود ، والحمد لله رب العالمين ، والله سبحانه يعلي مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضيائه⁽⁴⁾ وأنواره ، إلى يوم الدين .

أخبار العراق في هذه السنة :

لا أدري من أمرها غير أن العباسي فيها « هو المسترشد على ما ذكر في سنة ولايته .

(1) في الأصل : يقن .

(2) في الأصل : الفضيعة .

(3) في الأصل : ذلك .

(4) في الأصل : ضيائه .

باب

في ذكر أنباء سنة خمس وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله في هذه السنة فإنهم كانوا وادعين بتينملل ،⁽¹⁾ ولوفاة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه كاتمين .

وأما أخبار غيرهم في هذه السنة ففيها ولي قرطبة الزراجنة ابن أخي علي بن يوسف : عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن قنونة⁽²⁾ .

ووقعت النار بسوق الكتانين بقرطبة ، واتصلت بسوق البز ، فاحترقت أموال الناس .

ورجم الناس ابن المناصف⁽³⁾ بسبب المعونة⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان .

(1) يتفق هذا مع ما يذكره سائر مؤرخي الدولة الموحدية من سكوت الموحدين خلال هذه السنة .
(2) في الأصل : قنونة ، أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن قنونة أو ابن جنونة كما سماه صاحب « مفاخر البربر » ، وقنونة اسم أمه ، ويسميه ابن عذارى في البيان المغرب (القسم المرابطي ص 79) أبا عبد الله بن تنجمار (أو إنجمار) ، ولي على قرطبة في السنة التي يذكرها ابن القطان وعزل عنها في سنة 526 ثم سجن لشكايات ترددت منه (انظر بحث أويشي عن علي بن يوسف ص 111 ؛ ومفاخر البربر ص 82) .

(3) يعني قاضي الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 536 ، وقد سبق التعريف به من قبل بمناسبة إيراد ابن القطان خبراً عن ولايته قضاء الجماعة بقرطبة سنة 522 (انظر ص 150 ، حاشية رقم 2) ، وقد جاء الاسم هناك خطأ « عبد الله بن محمد بن أصبغ » .
(4) في الأصل : نسبت المعونة ، ولعلها كما أصلحنا ، ونرجح أن المؤلف يعني بلفظ « المعونة » هنا ما جرت العادة به في الأندلس من وجوب اضطلاع أهل كل حي في المدينة بإصلاح أسوار الجهة التي يسكنونها ، فقد ذكر ابن عذارى في البيان المغرب (القسم المرابطي ، ص 73) أن العمل في إصلاح أسوار قرطبة بدأ في سنة 520 ، ولعل القاضي ابن المناصف أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى إلى ثورة أهل قرطبة عليه ورجعهم إياه ، بل ربما كان ذلك هو السبب الذي أدى إلى عزله بعد ذلك بستين (في سنة 528) على ما سيذكر ابن القطان بعد .

باب

في ذكر أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله :

في هذه السنة فتحت تاسغيموت⁽¹⁾ .

وفي هذه السنة أيضاً فتحت درعة وتادلا على قول⁽²⁾ .

وفي هذه السنة وَحَدَّ الفلاكي⁽³⁾ ؛ وشرح حديثه أنه رجل كان من دُعَار إشبيلية وفتاكها وقطاع الطريق ، ثم تاب عن ذلك وصفح عنه وإلى إشبيلية وقدمه على الرماة والرجالة ، ثم وصل لعلي بن يوسف ، فأحسن إليه وقدمه « على حصنة » ، ووجهه إلى السوس قائداً عنه لمكافحة الموحدين أعزهم الله تعالى ، ووالي السوس حينئذ وأنودين بن سير⁽⁴⁾ ، فواصل الفلاكي⁽³⁾ الضرب على الموحدين ،

(1) في الأصل : تاسغيموت ، والتصويب عن كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 131) ، إلا أن هذا يجعل فتح الحصن المذكور لا في هذه السنة وإنما في سنة 517 ونسب البيهقي هذه الغزوة إلى عبد الرحمن بن زجو (ص 84) ، وقال إن حصن تاسغيموت كان من بين الحصون التي بناها المرابطون من أجل ضرب الحصار على الموحدين والتضييق عليهم وإن الذي بناه هو ميمون بن ياسين ، وكان فيه القائد أبو بكر ابن اللطفي بمائتي فارس وخمسمائة راجل من قبيلة هزرجة وإن عبد الرحمن بن زجو وجنود الموحدين اقتحموه وقلعوا أبوابه وحملوها إلى تينملل فجعلوها على باب الفخارين (ص 128) ، كذلك قتلوا في الحصل ابن وزروال الذي كان من قواد المرابطين به (ص 131) ؛ وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الغزوة إشارة موجزة ، إلا أن الاسم ورد هناك محرفاً إلى « تاسعون » (وانظر كذلك عن هذه الغزوة كتاب أويشي تاريخ 106/1 - 107) . وعن تاسغيموت وما بقي من أطلالها انظر بحث الأستاذين هنري تيراس وهنري باسيه عن « المشاهد والقلاع الموحدية » - مجلة إسبريس سنة 1927 .

(2) من بين من قال بذلك من المؤرخين ابن خلدون (العبر 229/6) إذ أنه يجعل فتح درعة وتادلا في سنة 526 ، وسيتحدث ابن القطان عن غزوة تادلا مرة أخرى في سنة 530 .

(3) في الأصل : الملكان ، وهو تحريف لما أثبتنا ، وقد سبق لابن القطان أن تحدث عن الفلاكي الأندلسي هذا وعلقنا على ذلك في موضعه (ص 132 ، حاشية 4) ، والخبر الذي ذكره ابن القطان هنا عن توحيد الفلاكي ساقه أيضاً البيهقي (أخبار المهدي ص 88) . (وانظر أويشي : تاريخ 107/1 - 108) .

(4) في الأصل : أبو دين ... ، وهو تحريف ، وقد سبق أن علقنا على اسم هذا القائد (انظر ص 160 ، حاشية 1) .

مجتهداً في خدمة الزراجنة ، ثم انفسد ما بينه وبين علي بن يوسف ، وهداه الله تعالى فوحد ، وصار يفعل في حصون لتونة وبلادهم مثلما كان يفعل لهم ، وظهرت نصيحته للموحدين أعزهم الله تعالى ، وألحقوه ⁽¹⁾ ملاءة كرامتهم وجاههم ، واستفتح لهم حصونا في السوس ، ولم يزل في خدمتهم إلى أن ارتد بعد هذا .

وصفة فتح تاسغيموت ⁽²⁾

وهو حصن مانع ⁽³⁾ مرتب على الجبل ، وكان له باب من حديد ، وكان في الحصن هجيكة ⁽⁴⁾ من هزرجة يحرسونه ، فدبر معهم الموحدون أعزهم الله تعالى كيفية فتحه ، وأن يمكنهم منه ليلاً ، فكان ذلك ، فأحرق الباب وقتل والي الحصن أبو بكر بن ورسوال ⁽⁵⁾ ، وقتل من فيها من المثلثين ، وحملت صفائح الحديد من بابها ، فركبت على تينملل شرفها الله تعالى ، وكانت هذه المحاولة المنجحة في أول هذا العام .

وصفة فتح درعة

[71 أ] أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير * المؤمنين رضي الله تعالى عنه توجه إليها ودخل حصن تازاجورت ⁽⁶⁾ ، وكان واليها يحيى بن مريم الزرجاني ، فضربت عنقه ،

(1) في الأصل : وألحقوه .

(2) في الأصل : تاسغيموت .

(3) كذا ، وهو يعني بلا شك « منيع » .

(4) كذا ، وربما كانت كلمة بربرية بمعنى « حامية » .

(5) هو الذي ذكره البيهقي باسم « ابن وزروال » (أخبار المهدي ص 131) ، وجاء اسمه لدى ابن خلدون « أبو بكر بن مازر » (العبر 229/6) .

(6) كان ابن تومرت المهدي قد وجه قبل ذلك حملة إلى تازاجورت ، وهي غزوة الثامنة ، وكانت حينئذ بلا سور ، ففتحها وأسر من بها (البيهقي ص 77) ، على أنه يبدو أن المرابطين استعادوها وسورها حتى وجه إليها عبد المؤمن هذه الحملة وهي التي تحدث عنها البيهقي كذلك (ص 85) ، إلا أنه ذكر أن والي الحصن هو يدر بن ولجوط لا يحيى بن مريم كما يذكر ابن القطان ، (وانظر كذلك أوبني تاريخ 110/1 - 111) .

وقال فيها من شيع التجسيم نيف على عشرين ألفاً ، وأخذت زوجة الوالي المذكور ميمونة بنت يثنان بن عمران ، وبقيت في الجبل حتى افتك بها من كان في للعسان من رجال الموحدين أعزهم الله تعالى ⁽¹⁾ .

وفي هذه السنة كان فتح جلاوة ، وذلك أنه توجه الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى ⁽²⁾ في آخرين من عظماء الموحدين أعزهم الله تعالى وحصة منهم إلى أوصليم ⁽³⁾ من بلاد جلاوة ، وهم المردة الذين كانوا جرحوا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ⁽⁴⁾ ، فدخلوه عنوة ، وقتل كل من فيه .

وفي هذه السنة كان فتح حصن هزرجة ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه إلى الخميس ان يعب ⁽⁵⁾ إن

(1) هي ابنة يثنان بن عمران أو عمر كما يذكر البيهقي ، وكان من كبار رجالات المرابطين ، وإليه يرجع الفضل في إطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف بن تاشفين ، وذلك أن الفقيه مالك بن وهيب الإشبيلي كان قد حرض علي بن يوسف على تثقيب ابن تومرت بعد مجادلته لفقهاء دولته ، فشجع له يثنان بن عمران هذا وأبو بكر سير بن ورييل ، فقال يثنان ، يا أمير المسلمين ، كيف تسجن رجلاً يعرف الله ، وهو أعرف أهل الأرض بالله ؟ (انظر تفاصيل القصة في أخبار المهدي ص 67 - 69) ، وكذلك الحلل الموشية ص 101 ، ولو أنه يسميه « يثنان » ؛ على أن أول غزوة للمهدي وهي غزوة تادورت كانت ضد الجيش المرابطي الذي كان يقوده يثنان هذا (أخبار المهدي ص 74) وقد أشار البيهقي إلى بنت لهذا القائد اسمها تاماجونت لا ندري إن كانت هي نفسها ميمونة المذكورة هنا أم أختها لها ، إذ يقول إن عبد المؤمن بعد إحدى غزواته للسوس حمل معه عدداً كبيراً من النساء يبلغ نحو أربعمائة من الأميرات ، وكان فيهن تاماجونت المذكورة فقالت هذه لعبد المؤمن : أشفع والدي يثنان في المهدي ؟ فقال لها : صدقت وأطلقها وأطلق معها جميع النساء (ص 88) وحينما فتح عبد المؤمن فاس قتل أسرى المرابطين واستثنى منهم أبناء يثنان المذكور (ص 102) ؛ كذلك ذكر ابن عذاري في أخبار سنة 540 أن عمر بن يثنان وصل إلى عبد المؤمن فآرا من أمير لتونة فلقى من الكرامة ما لا مزيد عليه ثم ارتد ودخل فاس فلما فتحها عبد المؤمن حصل في يد الموحدين مع جملة من الناس ، فأمر بقتلهم وبقي هو معفو عنه لما تقدم من وصية المهدي على ذرية يثنان « (البيان المغرب ص 25) .

(2) هو عمر المختار المعروف باسم « إينتي » .

(3) في الأصل : أو صلیم ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحصن (ص 138 ، حاشية 7) .

(4) هذه الغزوة التي يشير إليها في النص هي التي قام بها المهدي سنة 522 وجرح فيها .

(5) كذا وردت هذه الكلمات الثلاث في الأصل ، ولم نهد إلى وجه في تأويلها .

وصروال من هزرجة ، فدخله وأحرقه ، وقتل الباغيين أهله ، ودخل مدينة جشمجال وأحرقها وقتل من فيها ، ثم تحرك رضي الله تعالى عنه إلى داي مرة ثانية ، ورد سرية إلى بلد هزرجة وهم غافلون ، فقتلهم قتلا ذريعا .

ثم تحرك رضي الله تعالى [عنه] إلى أجلاحال من غجدامة ⁽¹⁾ الجبل ، وهم الذين قتلوا أبا محمد عطية مع عجزوته يوم العيد ، وكان من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فجمعهم الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وقتل منهم نيفا على ثلاثمائة رجل ، ثم أقبل إلى تينملل .

وفي هذه السنة وحد قبائل من هزرجة وهسكورة ، ثم ارتدوا .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

فيها اشتدت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة ، وكثر الموتى ، وبلغ مد القمح خمسة عشر دينارا ، وكثر الشر وابن قنونة ⁽²⁾ الزرجاني لا يفتر ولا يني ⁽³⁾ عن قتل أهله .

وضربت خيل النصارى على قرى إشبيلية من جهة حصن القليعة ، فأوسعها غارة وسبيا وقتلا ونهباً ، ثم أغارت خيل النصارى على قرى إشبيلية ثانيا ، واقتحمت الشرف ، والناس على غرة وغفلة ، فقتلت منهم عالما لا يحصى ، وأسرت من النساء والولدان ما يُعجزُ وصفه ⁽⁴⁾ ، وقربت النصارى من إشبيلية ، فطارت

(1) في الأصل : عجراية ، وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم ، وعلى مقتل أبي محمد عطية فيما سبق . انظر ص 138 والحاشيتين 9 ، 10 .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي سبق أن أشرنا إليه عند ذكر ولايته على قرطبة .

(3) في الأصل : يأتي .

(4) كان ذلك في المعركة التي تطلق المراجع المسيحية عليها اسم Azareda في شرف إشبيلية Ajarafe في رجب سنة 526 (مايو - يونيو 1132) . انظر أوبني : على بن يوسف ... ص 107 .

المعركة فيها . فخرج الناس ، وخرج إلى إشبيلية عمر بن مقور ⁽¹⁾ على وجه الاستظهار مع من خف من الملتزمين وسرعان الناس ، فلقبته خيل النصارى بهاجمه ، فنكص فارا ، فأدرك فقتل وقتل معه جماعة من المسلمين ، وغُلقت أبواب إشبيلية ، ودهش الناس ، ثم رجع النصارى - دمرهم الله تعالى - إلى بلادهم بعد نكابة عظيمة في الملتزمين ⁽²⁾ .

وفي هذه السنة أيضا ضربت النصارى على جهة يابرة ، فعمد إليهم الملتزمين ، وهو إذ ذاك صاحب غرناطة ، وابن قنونة ، وكان صاحب قرطبة ،

(1) في الأصل : مقور ، ولعل الصواب ما أثبتنا وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم بمناسبة الكلام عن أحد أفراد هذه الأسرة وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المعروف بابن مقور أو مجوز (انظر ص 133 ، حاشية 1) ، أما ابن مقور المذكور هنا فهو أخو يحيى بن علي المشار إليه في الموضع السابق ، واسم عمر بن علي بن الحاج ، ول إشبيلية سنة 524 واستشهد في معركة Azareda في شرف إشبيلية سنة 526 ، وقد عرض لهذا القائد ابن عبد الملك المراكشي في كتاب « الذيل والتكملة » (مخطوط الاسكوريال رقم 1682 ، ورقة 26 ب = بقية السفر الرابع ص 61 في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي) واسم في كتاب الذيل « عمر بن مقور » أما ابن الخطيب فإنه ذكره باسم أبي حفص عمر بن علي بن الحاج وقال إنه استشهد في تلك الغزوة التي شنها النصارى على إشبيلية (الإحاطة - ط . عنان 452/1) وقد ظن الباحث فرانسكو كوديرا عندما رأى اختلاف الاسم أنهما شخصان مختلفان ، بينما الحقيقة أنهما اسمان لشخص واحد (انظر بحثه عن « أسرة بني تاشفين » ص 132) .

(2) أورد ابن الخطيب نبأ مهاجمة النصارى لإشبيلية وإيقاعهم بالمسلمين فيها فقال إنهم هاجموا إشبيلية في آخر سنة 526 ، فصبحوها في النصف من رجب وبرز لهم عمر بن علي بن الحاج في نفر من المسلمين فاستشهد جميعهم ، ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجلبها بها وغارة . (الإحاطة - ط . عنان 451/1 - 452) ، وتشير المراجع المسيحية أيضا إلى هذه الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع (Cronica de Alfonso VII) أن قائد جيوش طليطلة والمكلف بقتال المسلمين في منطقة غرب الأندلس (Extremadura) وكان يدعى رودريجو جوثالث Rodrigo González هاجم إشبيلية ، فخرج له أميرها المسلم ، والتحمت بينهما معركة عنيفة قتل فيها هذا الأمير وكثير من رجاله ، وعاد رودريجو جوثالث محملا بالغانم . وتنص الحوليات الطليطلية Anales Toledanos على اقتحام رودريجو جوثالث هذا شرف إشبيلية وقتاله للمسلمين بها وانتصاره على أميرها الذي تسميه « عمر » (أي ابن الحاج المذكور) وقام إياه في معركة Azareda التي سبقت الإشارة إليها وذلك في سنة 1130 م . (انظر بحث فرانسكو كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 130 - 132) .

فالتقوا معهم فهزموا هم النصرارى وقتلوهم وأنقذوا الغنيمة ⁽¹⁾ .

ولما رجع تاشفين من هذه الغزوة وافاه كتاب علي بن يوسف بولاية قرطبة وغرناطة وإشبيلية ⁽²⁾ ، وعزل عبد الله بن قنونه عن قرطبة وسير إلى إشبيلية فسجن فيها ، ودخل تاشفين قرطبة واليا في شعبان ⁽³⁾ .

وأكلت الجراد زرع قرطبة .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد على ما كان عليه .

* * *

(1) تحدث ابن الخطيب وصاحب الحلل الموشية عن غزوة تاشفين هذه عقب كلامه عن مهاجمة النصرارى لإشبيلية (الإحاطة - ط . محب الدين الخطيب 283/1 ؛ وط . عنان 452/1 - 453 ؛ والحلل ص 122) ، فذكر ابن الخطيب أن خبر غزو النصرارى لإشبيلية لم يبلغ تاشفين حتي خف بأعقاب النصرارى متبعها لهم ، فأدركهم عند فلاة بقرب الزلاقة ، وكان النصرارى قد قصلوا بطليوس Badajoz وباجة Beja وبابرة Evora ، فدارت المعركة هناك ، وهبأ الله لتاشفين انتصارا عظيما استوصل فيه الجيش النصراني ، وعاد تاشفين ظافرا إلى بلده في جمادى من هذا العام أي 526 . كذلك أشارت بعض المراجع النصرانية إلى تلك الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع عقب الحديث عن مهاجمة النصرارى لإشبيلية أن نفرا من قادة شلمنقة Salamanca حينما علموا نبأ مهاجمة رودريجو جونثالث لإشبيلية وانتصاره على المسلمين فيها ألقى ذلك في نفوسهم الأمل وقوى عزيمتهم على مهاجمة بطليوس ، وكان تاشفين حينما علم نبأ مقتل ابن الحاج أمير إشبيلية قد جمع جيشا كبيرا وتوجه إلى لقاء نصرارى شلمنقة ، فالتحمت بين الفريقين معركة مزق فيها الجيش المسيحي ولم ينج منه إلا نفر قليل ، وعاد تاشفين إلى قرطبة ظافرا ، وتضيف الحوليات إلى ذلك أن مثل هذه الكارثة قد حل بالنصرارى بعد ذلك ثلاث مرات متوالية (انظر كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 132 - 135) .

(2) يختلف هذا عما جاء في الإحاطة - ط . عنان 446/1 (نقلا عن عبد الملك الوراق) إذ ذكر هناك أن علي بن يوسف ولي ابنه تاشفين على غرناطة والمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده سنة 522 ؛ ولو أن قوله « ثم قرطبة » قد يدل على أن ولايته إياها كانت متأخرة بعض الشيء مما يحتمل معه أن يكون ذلك قد تم في السنة التي يذكرها ابن القطان .

(3) يتفق ابن عذارى مع ابن القطان في هذا التاريخ إذ يحدد تعيينه على قرطبة إلى جانب ما كان تحت يده من بلاد الأندلس في 30 رجب سنة 526 = 6 يونية 1132 . (انظر أويثي : علي بن يوسف ص 111) .

باب

في ذكر أنباء سنة سبع وعشرين وخمسائة

أما الموحدون أعزهم الله تعالى فلا أعرف لهم في هذه السنة حركة .

وأما أخبار غيرهم ففي هذه السنة خرج السلطان النصراني الطاغية ⁽¹⁾ وابن هود ⁽²⁾ إلى بلد المسلمين ، فهبطوا إلى إشبيلية ، وانسبطت خيلهم واكتحمت ⁽³⁾ ما وجدت ، ثم هبطوا إلى شريش فدخلوها وقتلوا من وجدوا فيها واستباحوا وبالغوا في نكاية المسلمين ، ثم رجعوا إلى بلادهم .

(1) من الواضح أنه يعني به ألفونسو السابع ملك قشتالة ما بين سنتي 1126 و 1137 م . (520 - 531 هـ .) ولما يسميه ابن القطان « السلطان » لانه اتخذ لقب « اميراطور Emperador » في سنة 1131 م . (529) ، على الرغم من صغر سنه حينما ولى الملك ومن كونه تحت وصاية أمه . وذلك أن ألفونسو السابع هذا كان ابن أراكة Urraca (ابنة ألفونس السادس ملك قشتالة و فاتح طليطلة الذي هزمه المرابطون في « الزلاقة ») وكان مولده سنة 1106 (499 هـ .) وولى الملك صغيراً تحت وصاية أمه ، ولهذا الفهر « بالملك الصغير Rex Parvus » وهذا اللقب هو الذى ترجمه الأندلسيون إلى « السلطان » . أما عن الحراك ألفونسو السابع بنفسه في تلك الغزوة فإنه لا المراجع المسيحية ولا المراجع العربية الأخرى تؤكد ذلك في صراحة ، وهو خير بنفرد به ابن القطان .

(2) في الأصل : الطاغية بن هود ، هذا ونلاحظ كذلك أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى اشتراك ابن هود مع القشتاليين في تلك الغزوة الموجهة إلى إشبيلية وشريش Jerez ، ولاشك أنه يعني سيف الدولة أحمد المستنصر بن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين أحمد بن المؤتمن يوسف بن المقدر أحمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، وهو من سلالة بني هود ملوك سرقسطة في عهد الطوائف ، وكان ابن هود هذا هو صاحب قلعة روضة Rueda من عمل مدينة تطيلة Tudela بالثغر الأعلى ، ولكنه لم يستطع الاستقرار بها ، فسلمها للنصرارى واشترك في الفتن التي أثرت على المرابطين في الأندلس ، فاستولى على قرطبة زمنا في سنة 539 عندما ثار ابن قسى على المثلثين ، ثم ملك جيان وتنقل بينها وبين غرناطة ومرسية وقتل في سنة 540 في غارة للنصرارى على مرسية (انظر ابن سعيد : المغرب ، 438/2 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص 175 - 176 ؛ وابن خلدون : العبر 163/4 ؛ ابن الأبار : الحلة السراء 249/2 - 252) .

(3) في الأصل : واكتحمت .

[72 أ] وتوجه تاشفين إلى حصن أنطاقة ⁽¹⁾ « بمقربة من قنطرة السيف » ⁽²⁾ فنزل فيها بالعساكر ، وقتالها ، فافتتحها المسلمون عليهم وقتلوا كل من فيها وسبوا النساء والصبيان ، وهدم الحصن إلى أسفله ⁽³⁾ .
وأكلت الجراد زرع هذه السنة .

وفي هذه السنة قتل المسترشد العباسي ، وصلى عليه ابنه الراشد بالله تعالى أبو جعفر منصور المذكور ⁽⁴⁾ .

(1) ربما كانت هذه الغزوة هي التي يشير إليها ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان 451/1 ، وقد قرأها الأستاذ محمد عبد الله عنان : « شنت إسطين » وقال إنها جاءت في المخطوطين اللذين اعتمد عليهما : « بشط اشطن ») ، وقرأها كوديرا في مخطوط الجمع التاريخي الملكي بمديرد « أنتطش أو « أشطش » (أسرة بني تاشفين ص 128) ؛ أما أويثي في مقاله عن « روض القرطاس والمرابطين » (مجلة إسبريس - سنة 1960 - ص 529 - 540) فإنه قال إن خير تفسير لهذا العلم الجغرافي هو أنه الذي يقع الآن في البرتغال ويسمى Idanha - a - Vella قريبا من الحدود البرتغالية الإسبانية في منطقة Castell - Branco على بعد 150 كيلومترا من ماردة ، وعلى أية حال فإن ابن الخطيب يجعل هذه الغزوة في سنة 528 لا في سنة 527 كما يذكر ابن القطان .

(2) كذا في الأصل ، ولسنا ندري ما إذا كان النص صحيحا على هذه الصورة أم سقطت منه بعض الألفاظ ، فإن أي زرع الذي يشير إلى هذه الغزوة يقول (روض القرطاس ص 164) : « فيها غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف » ، ومن هذا نرى أن هذا الموضع كان اسمه « قنطرة محمود » لا « قنطرة السيف » كما جاء في نص ابن القطان . وقد أورد الإدريسي في جغرافيته موضعا يسمى « قنطرة محمود » على ضفاف نهر تاجه بين القنطرة وشتترين (نزهة المشتاق ص 189 وترجمة سافيدرا الإسبانية ص 53) . وانظر تعليق أويثي على هذه الغزوة في مقاله المشار إليه ص 540 .

(3) يشير كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » (ص 134 - 135) إلى أن ابن الخطيب في كتاب آخر له - غير كتاب الإحاطة ، وإن كان لم يحدد أي كتاب هو - (مخطوطة الجزائر رقم 1617) تحدث عن غزوة لتاشفين قد تكون هي المقصودة هنا ، إذ يقول - نقلا عن ابن الصيرفي المؤرخ المرابطي - إنه في سنة 527 بلغ تاشفين أن نفرا من قادة النصاري وعظماهم أغاروا على بطليوس وباجة ويابرة ، فنصدى لهم تاشفين بجيش عظيم وأوقع بهم مقتلة كبيرة ، وفك سراح أسرى المسلمين وعاد ظافراً إلى غرناطة في جمادى الآخرة سنة 528 .

(4) ليس صحيحاً أن مقتل المسترشد العباسي كان في هذه السنة ، إذ المعروف أنه قتل في سنة 529 ، والمسترشد هو أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدى ، بويغ بالخلافة في =

وقيل ⁽¹⁾ إن موت الأمر صاحب مصر كان في هذه السنة ، بعث الله لعمال قوما من عبادته لم يعرف من هم ⁽²⁾ تحالفوا وتعاهدوا على قتل الجبار العنيد بمصر الملقب بالأمر . قيل إنهم قصدوا إليه من بلاد الشام ، فأقاموا بمصر ، وعلموا يوم ركوبه ، وكان إذا ركب سدت الديار والخوانيت في عمره ، ولا يمر بطريقه أحد سواه ، ويجعل نصف عسكره أمامه ونصفهم وراءه . وفي وسط كلتا المسافتين اللتين أمامه وخلفه فارسان بينهما وبينه مثل ما بينهما وبين العسكر ، وحوله أربعة من خواص عبيده وصاحب مظهره ⁽³⁾ هؤلاء هم الذين يحفون به ويسمون « الركابية » ، وهو راكب على فرس قد عود أنه لا يبول ولا يتغوط ، وقد اعتم بعمامة عظيمة يخرج مقدمها على جبهته مقدار شبر ، قد أمسك بعضها بعض بأبر مغرورة فيها ، ويسدل من ورائه منها ذؤابة ، وكان كبري « اللون » ⁽⁴⁾ أعين غليظ الشفتين ضخيم الجسم ، بين عينيه لؤلؤة كبيرة لم يخرج قط من البحر أعظم منها قدر بيض الحمام ، كانت خرجت من البحر أيام المستنصر جد هذا الجبار العنيد فقصد بها ، فكان هذا المارد إذا خرج يعلقها بين عينيه ،

= ربيع الآخر سنة 512 ، ومولده في سنة 485 ، واغتاله الباطنية في السابع عشر من ذي القعدة سنة 519 ، وبويغ بعده ابنه أبو جعفر منصور الملقب بالراشد (انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 256/5 - 257) ، هذا ويبدو أن ذلك الخطأ قد تناقله بعض المؤرخين المغاربة الآخرين ، نذكر منهم ابن عذاري الذي يعتمد في إبراده على كتاب « المقباس » للوراق (انظر البيان المغرب 311/1) .

(1) في الأصل « وقال » هذا وقد كان موت الأمر وولاية الحافظ في سنة 524 كما سبق أن ذكر ابن القطان في أخبار تلك السنة ، ولو أن المؤلف لم يكن متأكداً كل التأكد من ذلك .

(2) ذكر المقرئ أن هؤلاء كانوا عدة من النزارية (الخطط 378/2) والنزارية هم الطائفة التي كانت ترى أن الخلافة من حق أبي منصور نزار بن المستنصر عم الخليفة الأمر ، وهو الذي قتل أبوه بيده ، وأن المستعل والأمر مغتصبان للخلافة دون وجه حق ، وقد كانت هذه الجماعة شديدة التعصب لرأبها ، وهي التي دبرت مصرع الأمر كما ذكر المقرئ وكما نص عليه أيضا ابن تغري بردي (النجوم 184/4 - 185) والمقرئ (نفع الطيب 224/2) .

(3) في الأصل : مظهره .

(4) أي نحاسي اللون كبير العينين .

ليس على رأسه ولا منكبيه رداء ولا طليسان ، ويداه في كفيه ، لا يمسك عناناً ولا يشتغل بشيء سوى ركوبه على السرج ، وكان يفرش له طريقه بتراب لم تطأه قدم قط .

فقصده هؤلاء القوم إلى طريقه الذي عهد سلوكه عليه ، وفيه فرن على مر الشارع ، وكانوا عشرة رجال ، فقصدوا إلى الفرن ومعهم دقيق ، وقالوا له : نريد منك أن تخبز لنا خبزاً من هذا الدقيق فإننا قوم غرباء مسافرون ، فقال لهم الفرن : مولانا اليوم يمر على هذا الشارع ، فإن أنتم أبطأتم فلا يصح لكم ما تريدون ، وإن أنتم عجلتم صبح لكم ذلك . قالوا له : الساعة نفرغ من ذلك وأرغبوه في الأجرة ودفعوها إليه ، فأذن لهم وشرط عليهم العجلة . فجعلوا يتأنون ويحدثون أشغالا والفرن يتعجلهم إلى أن مر عليهم مقدم العسكر الأول الذي يمشي أمامه ، فأعنف عليهم الفرن في الخروج ولم يمهلهم ؛ فلما رأوا ذلك منه اجتمعوا عليه ودسوه في داخل الفرن ، وسدوا فمه بغطائه فشووه .

[73 ب] وأقاموا * بالفرن وبابه مغلق عليهم إلى أن سمعوا وقع حوافر فرسه ، فأول من خرج من الفرن كهمل منهم ، وجعل يسجد إلى الأرض وينادي : أنا بالله وبعدل مولانا ! ، ويسجد سجدة أخرى ويقول مثل قوله ، ويقترّب منه وهو يمشي إليه إلى أن ألقى يده في شكائم الفرس ، وسل من حزامه سكيناً وضرب بها بطن الفرس ، فسقط جميع ما في بطنه ، وسقط على الأرض .

وخرج أصحابه من الفرن بعد ذلك ، وألقى يده في مجامع ثياب ذلك الجبار ، وضربه ضربة فرى بها أوداجه ، وتبادر أصحابه فضربوه بسكاكينهم ضربات كثيرة ، وألقى الله عز وجل السبات على ركابية الجبار إلى أن فرغ من قتله . وحينئذ صرف الله تعالى أرواحهم إليهم ، فوقعوا على الفاعلين فقتلوهم أجمعين ، ووجهوا إلى مقدمة الجيش بسد الدرب القريب منه ، وفعلوا كذلك بالذين من خلفهم ، وذكروا لهم أن مولانا كبا به فرسه ، وكان هذا الموضع قريباً من النيل ، فأتوا بزورق وحملوه وفرسه ، وأدخلوه الزورق ، وأزالوا الدم من ذلك المكان وغيره ، وغيروا من أمره ما استطاعوا وقذفوا به ، وحملوه إلى قصره بالقاهرة ،

والقطى بحره ولدت مدبرته ، وأراح الله تعالى منه عباده وبلاده (1) .

« [واختلف الناس على (2) من يلى الأمر من بعده ، إذ لم يترك ولداً ، فأرادت عمته أن تولى بعده فتاه « حرز الملوك (3) » ، فأدخلته القصر وعزمت على ذلك ، وجمع هذا الأمراء والقواد ، فأنفقوا (4) أن يلى عليهم من صفته تلك ، وزحف جميع العسكرية لما بلغهم ذلك إلى القصر ، فصاحوا ، فأغلق في وجههم ، فقالوا : إن لم يخرج إلينا الفاعل الصانع الذي تريدون أن تؤمروه لنضرمته نارا على [من فيه (5)] ! فأمرت العمة بحرز الملوك (6) ، فقتل ورمى رأسه إليهم ، فسكنت سورهم ، فولوا أمرهم ابن الأفضل بن أمير الجيوش ، فتولى عليهم بمدة من عشرين شهراً ، ثم عدوا عليه فقتلوه . وتولى الأمر بعده شيخ من آل عبيد من ولد المستنصر (7) كان يغسل موتى القصر (8) . فأحسن السيرة ، وجمع الناس . ودام أمره إلى سنة أربعين وخمسمائة (9) ، وتلقب بالحافظ لأمر الله .

(1) يتفق ما جاء في هذا الخبر في جملة مع ما ذكره المقرئ في وصف اغتيال الأمر (الحافظ 379/2) وابن تغري بردي (النجوم 184/5 - 185) وابن خلدون (العبر 71/4) وابن الأثير (الكامل 332/8) وابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 60) والمقرئ (فتح الطب 294/2) ، على أن خبر ابن القطان يشتمل على كثير من التفاصيل الشائقة التي ينفرد بها ، وقد ذكر ابن عذارى في البيان (311/1) أن الذي قتل الأمر هو الغلام الذي اسمه « حرز الملوك » والذي يسميه المقرئ هزار الملوك . (2) في هذا الموضع قطع بقدر ثلاث كلمات ، وقد أكملنا السياق بما لا نظنه يخرج عن معنى ما ألقينا .

(3) في الأصل : « هزار ملك » ، وقد تكرر ذكره قبل ذلك كما أثبتنا هنا .

(4) في الأصل : فاتفقوا .

(5) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

(6) في الأصل : هزار ملك .

(7) في الأصل : المنتصر .

(8) المعروف أن عبد المجيد الحافظ بن أبي القاسم محمد بن معد المستنصر ولي الخلافة بعد مقتل الأمر على أنه كفيل للولد الذي كان الأمر قبل وفاته أشار إلى أنه سيولد له من جارية عنها ، ثم إن هذه الجارية لم تلد لمعدت خلافة الحافظ بعد ذلك ، وكان حرز الملوك (أو هزار الملوك كما يسميه المقرئ) قد وزر له هو وبالسور مثولي الباب ثم أبو علي أحمد بن الأفضل (انظر ابن تغري بردي : النجوم 240/5 - 241) .

(9) كذا ، والمعروف أن خلافة الحافظ استمرت حتى جمادى الآخرة سنة 544 إذ توفي في هذا الشهر